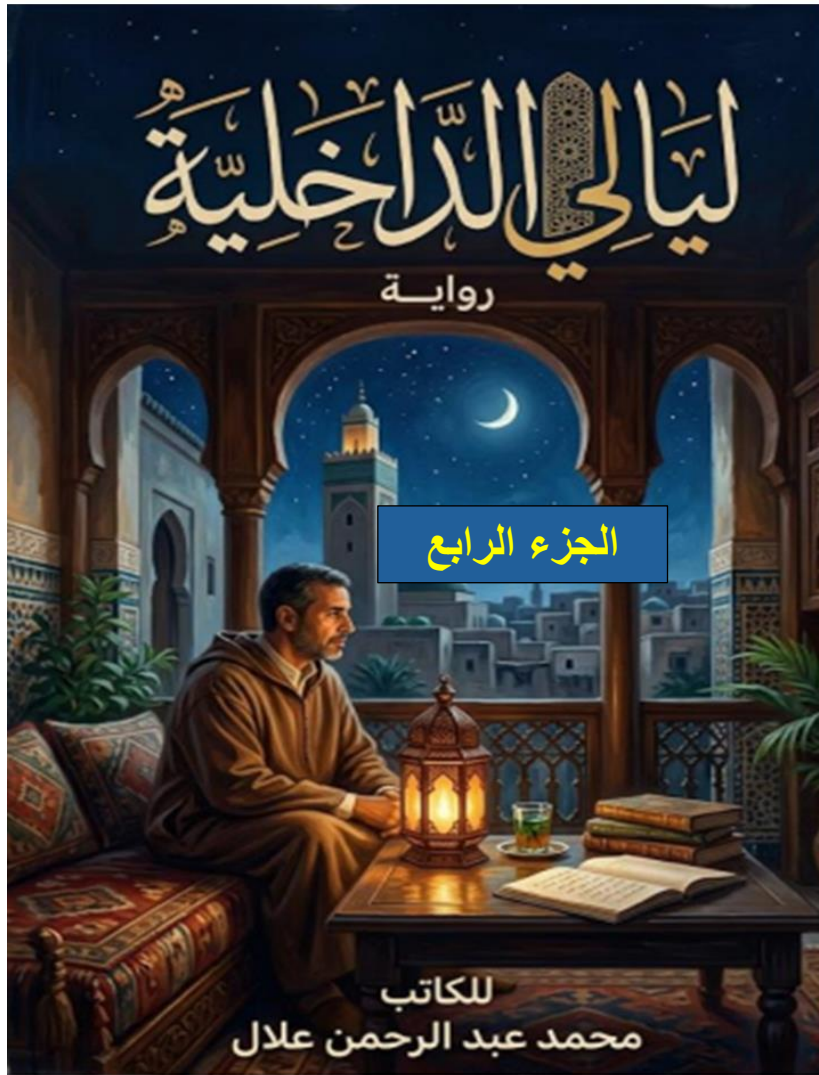


ليالي الداخلية

رواية تتناول حياة الكاتب ورفاقه من الطلبة في الداخلية
"دار الطالب" بفجيج شرق المملكة المغربية في
السبعينيات من القرن الماضي

تصوير للاحداث و نقل للصور المثيرة داخل فضاء الدار وفي
المدينة منذ وصول الكاتب الى الداخلية 1974 حتى خروجه
منها 1978



كان تيمح ومن معه في دار الطالب عند كل مساء يقصدون بعد عودتهم من الثانوية دكانا جمع بين كونه مقهى ومطعم صغيرين .كانوا يعرفون صاحبه باسم ""بَا فَرْنَنْ"" كان يعد نوعا من الطعام اشتهر باسم ""معقودة"" كان عبارة عن رغيف خبز دائري الشكل ،غني بلذة مذاقه بسبب ما احتواه من عناصر لم يكن ظاهرا منها سوى البطاطس والبهارات .الى جانب دكانه كانت مكتبة ""سي بزة"" ودكان الملابس لصاحبه ""بلقاسم"" كان دكان ""با فرنن" غرفة مستطيل شكلها واسعة .انتشرت بها على غير نظام طاولات خشبية قليلة لا يغطيها جلد ولا قماش .تحيط بها كراسي قديمة .يتدلى خيط رفيع من وسط سقفها قد ملأته اوساخ السنين من روث الذباب .بابه خشبية تجاورها نافذتان كبيرتان .يقدم الطعام للزبون على صحون زجاجية صغيرة .غالبا ما يستغني عنها فيضع الخليط داخل قطعة الخبز لمن لم يرغب في الجلوس بالمقهى .كان رجلا سمحا كريما .متقدما في السن لحد ما .على عينييه نظارتان

يضع على جسمه النحيل وزرة بيضاء
تحيله خبيرا داخل مختبر . وزرة تدل
على دخوله في العمل بجد ونشاط . كان
سكان دار الطالب يقصدون المكان كلما
مسهم جوع . لا يعلم بوجود نزيل من الدار
الا ضاعف الكمية دون زيادة في الأجر
يعاملهم بلطف كأنهم أبناء لم ينجبهم صلبه
. كان متنفسا للشعب لدى هؤلاء المساكين .
ثم يعود الجميع وينكبون على المطالعة
والمراجعة منتظرين الوجبة التالية .

كانت اوراق الخريف تودع الاشجار
حزينة بالفراق المحتوم .تراقبها من
الأعلى غيمات تنذر بقدوم المطر ؛
تسوقها الى البعيد رياح تكنس الطريق
العامة والطوارين على حافتيها كلما امتلا
واصفرت عليهما تلك الأوراق الذابلة
.تلوح الشمس في عنان السماء مائلة
تشحب رويدا رويدا ،يصيبها الضعف
وهي تبتعد هناك في الأفق البعيد ،ترسل
نسيما باردا يقشعر من وقع برودته البدن
،و يدفع الناس الى ارتداء جلبابهم الصوفي
مبكرا .ويمضي النهار .يغشيه الليل الأكيد
الزاحف ؛ فتبدأ على أثر زحفه ذاك
،الليالي الطويلات في الداخلية ،داخلية
دار الطالب بفجيج ،مفعمة بالأحداث
والأفكار الجميلة والصور الرائعة المخيفة
السارة المضحكة المبكية . كان تيمح يعود
كل مساء الى مأواه من الدار -الى سريره-
مشبعا بما رآه في الثانوية ؛وتتزين مخيلته
بالصور الملونة بألوان السماء والناس
والدور المحيطة مما التقطته عيناه من
الشارع العام. إذا مر بمقهى ""با فرنن"
،تناول معقودة بخمسين فرنكا ،ثم عرج

على مكتبة بجوار ذلك المقهى ،مكتبة
عامرة بكل تفاصيل المكتبات ومفاهيمها
ودلالاتها ومعانيها الروحية والفلسفية الى
حد ما .كان يملكها رجل حسن وجهه
.سمح السريرة .باسم ثغره على مر
اللحظات .طويل القامة ذو شعر أسود
كثيف ناعم .لم يكن تيمح يهتم لمظهر
شعره المصفف ،ولا جذبته ملابسه
العصرية بنطلونا يميل الى اللون البني
ومعظفا رسميا جميلا .لم يعر اهتماما
لطوله الفاره ،ولا للقبعة التي تزين رأسه
؛كل ما سلب لبه في هذا الرجل هو اخلاقه
وحسن تعامله وعطفه بالطلاب خصوصا
نزلاء الدار .رجل عارف .يفهم ان العلم
مهم للأجيال القادمة . يدرك تمام الادراك
ان من يرتاد دكانه من زبناء من دار
الطالب كانوا في الغالب فقراء ،او على
الاحرى لا يملكون مصروفا لاقتناء ما
تحتويه مكتبته سوى ما يسدون به رمق
بطونهم من معقودة "با فرنن"كان يعي
حاجتهم الى القراءة والتوسع في المعارف
وهم من لم يجدوها في مدنهم الاصلية وقد
كانت فجيح قد سبقتها في الثقافة والانفتاح

على العلم والصحافة ،لذلك صار يساعدهم
بصبره وتصدقه .كانت مكتبته مليئة
قصصا ؛ومن كتب المقررات الدراسية ما
لا عين رأت ولا اذن سمعت .بواجبتها
لافتة كبيرة من خشب تزينه قضبان من
المعدن تحميها .علقت فيها صور هدايا
السنة الميلادية "" «*sapin de Noël*» او
صور خلاصة للمدن المغربية ومناطقه
السياحية الجميلة . كانت الصور على تلك
السبورة الخشبية ذات الاطار المعدني
خلاصة بألوانها الزاهية .تتناوب على
يسارها او يمينها قطعة من معدن تتوسطها
اسلاك تحمل انواعا واشكالا من الصحف
والجرائد والمجلات .ابرز ما كانت تقع
عليه عيناه آنذاك ؛جريدة العلم والمحرر
والبيان و لوماتان "*le matin*" ،اضافة
الى مجلة العربي .كان تيمح يقف امام ذلك
العالم الأخاذ متأملا ،مشدوها ،يحذوه شوق
الى اقتنائها كلها ،لكن يده كانت مغلولة عن
أن تبلغ ذلك .منذ ان تعرف اليه سي
""بزة"" ،واطمأن اليه ،وفهم حاجته
وطموحه ،صار يمدده بما يحتاج من
قصص ومجلات وجرائد دون ان يطالبه

باي نقود. كانت الظلال عند كل صباح تلف
المكتبة بما احتوت واجهتها. وعند المساء
،تزداد فتنة بأشعة الشمس الذهبية زمن
الغروب. يلتقي بها العارفون بشؤون العلم
والادب والسياسة. وكان تيمح ممن يلتقي
بهم هناك. لا يكلمهم ولا يكلمونه، فقد كان
مجرد صبي لا يخبر من الحياة سوى أنه
في الداخلية. يأنسه وجودهم وشخصياتهم
وكلامهم وهمسهم. كان يتعلم منهم ومن
ذلك المكان وصاحبه.

تقدمت به الايام في عالمه الجديد" دار
الطالب" بفجيج. تقدم به الزمن وقد اصبح
يعيش مع الجماعة. جماعة من الطلاب
بين الثانية عشرة ربيعا والعشرين. قدموا
من كل الانحاء. كان فيهم من هم على
لسان عربي، وكان منهم الامازيغ كما هو
الحال مع "تيمح". بدأ يتعرف اليهم،

يقترّب منهم أكثر فأكثر . يسمع آهاتهم
ويسبر اغوار همومهم ويتفحص بعين
ثاقبة معجبة طباعهم. ولج عالمهم ودخلوا
عالمه .أنسه حديثهم واستأنسوا بحديثه
.يحكي لهم تجارب الصغر في قرينته
ومدينته .حكاوى المدرسة والزملاء
والمعلمين. كانوا هم أيضا يقصون عليه ما
جرى لهم او لأسرهم. بدت له - وقد نسي
عالم اسرته -ان الحياة واعدة معهم بكل
تفاصيلها .

في ذلك الليل من ديسمبر البارد-وقد
مضت على الدخول المدرسي شهور العدة
، ما شهد فيها شيئا غريبا ،ولا أمرا مريبا
.انضباط في الدخول واثناء الخروج كأن
المكان ثكنة عسكرية -خلد الى سريره بعد
تناول الوجبة الليلية المعتادة ،دخل
المسؤول «حمو حمامة''' وعلى عينيه
نظارتيه البيضاوين ،دخل يحمل بيد عصاه
القصيرة ؛يلوح بها متوعدا كل من عزم
على السهر .أطفأ الأضواء فجأة يطلب
من الجميع النوم وعدم اثاره أية مشاكل
.ظهرت القاعة شبه مظلمة.اختفت الوجوه
خلف الستائر والاعطية قبل انصرافه

ممتثلين لأمره . خرج الرجل يغادر بابها العريضة تاركاً وصيته تشق طريقها داخل اذهان النزلاء. انصرف الى بيته . ما كاد يغلق الباب دونه حتى سُمع وقع نعليه عائداً يحمل عصاه . اشتغلت أضواء القاعة من جديد ، وها هو يصرخ بأعلى صوته : "الله ينعل بركك أبر جدك" . كلمات كان يحفظها عن ظهر قلب . تدلل على اضطرابه وغضبه . كان يكرر تردادها . يتوعد المشاغبيين ومثيري الفوضى في الظلام بأشد العقاب . شرع الرجل يضرب بعصاه ارجل النيام ، فيحدث صوت العصا وأنين المصاب ايقاعاً "أي أي ، شكون هذا لحمار لي ضربني" « فيزداد الضرب شراسة على أثر هذا الكلام المشين . خلف الغطاء ، كان تيمح غارقاً يضحك يكاد ضحكه القوي يفضحه فينال قسطاً من الضرب على رجليه . ما كانت عودة المسؤول ذاك للتنزه او الاستجمام ، بل لأمر خطير حدث . كان النزلاء وهم عائدون من الثانوية ، يجمعون الحصى او نوى التمر في محفظاتهم ، ثم اذا حل اذا حل الليل ، وأطفأت الانوار ، وخذلوا الى

مضاجعهم، تقاذفوها بينهم في الظلام
كأنها صواريخ في ساحة حرب . تنطلق
المقذوفات سريعة قوية . إن تصادف عينا
تفتقها . أو تصادف فما مفتوحا تلجه ، أو
جبهة مسطحة تدميها بلا خجل . ضحك
تيمح لذلك المشهد حتى اوشك ""حمو""
يكشف ما هو عليه فيعتبره مذنبا ثم يعاقبه